

تفريغ المجلس الخامس من مجالس شرح كتاب: "رياض الصالحين"

(شرح حديث "الثلاثة الذين خُلِّفوا")

قال: الشيخ أبو حذيفة محمود الشيخ - حفظه الله تعالى :-

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فهذا إخوتي -بارك الله فيكم- المجلس الخامس من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي -رحمه الله تعالى-، وأقول: "شرح رياض الصالحين" ليس على إطلاقه، فكلمة شرح أكبر مما أفعله حقيقة، فأنا أعلق تعليقات من كلام الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالى-، وبعض العلماء بما ييسر الله، وأبتعد عن الكثير من المباحث الفقهية كما ذكرت لكم سابقا، لازلنا في باب التوبة، والحديث الحادي والعشرين، والحديث الحادي والعشرون، بل قل: الحادي والعشرين أفضل، ويجوز هذا، ويجوز هذا.

21- وعن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائداً كعب - رضي الله عنه - من بنيهِ حينَ عمي، قال: سمعتُ كعب بن مالك - رضي الله عنه - يُحدِّثُ بِحدِيثِهِ حينَ تخَلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوك. قال: كعب: لمَ اتَّخَلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ غزاها قط إلا في غزوةِ تبوك، غيرَ أنِّي قد تخَلَّفتُ في غزوةِ بدرٍ، ولمَ يُعاتبُ أحدٌ تخَلَّفَ عنه؛ إنَّما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمُسلِمونَ يُريدونَ عيرَ قُريشٍ حتَّى جَمَعَ اللهُ تعالى بَينَهُم وبَينَ عَدُوِّهِم على غيرِ ميعادٍ. ولقد شَهِدْتُ معَ رسولِ الله ﷺ لَيلةَ العَقَبَةِ حينَ تَواثَقْنَا على الإسلامِ، وما أَحَبُّ أنَّ لي بِها مَشْهَدَ بدرٍ، وإنَّ كَانَتْ بدرٌ إِذْكَرَ في النَّاسِ مِنْهَا.

وكانَ مِن خَبَرِي حينَ تخَلَّفتُ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوك أنِّي لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مِنِّي حينَ تخَلَّفتُ عنه في تلكَ الغزوةِ، والله ما جَمَعْتُ قَبْلَها راحِلَتينِ قطُّ حتَّى جَمَعْتُها في تلكَ الغزوةِ ولمَ يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يُريدُ غزوةً إلا ورَى بِغيرِها حتَّى كَانَتْ تلكَ الغزوةُ، فغزاها رسولُ الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سَفراً بعيداً ومَفازاً، واستقبلَ عَدداً كثيراً، فجلَّى للمُسلِمينَ أمرَهُم ليتأهبوا أهبةَ غزويهِم فأخبرَهُم بوجهِهِم الَّذي يُريدُ، والمُسلِمونَ معَ رسولِ الله كثيرٌ ولا يَجْمَعُهُم كتابٌ حافظٌ «يُريدُ بذلكَ الديوانَ» قال: كعب: فقلَّ رَجُلٌ يُريدُ أن يَنغيبَ إلا ظَنَّ أن ذلكَ سيخفى به ما لم يَنزَلْ فيه وَحيٌ منَ الله، وغزا رسولُ الله ﷺ تلكَ الغزوةَ حينَ طابَتِ الثَّارُ وَالظَّلَالُ، فأنا إليها أَصعُرُ، فَتَجَهَّزَ رسولُ الله ﷺ والمُسلِمونَ معَهُ وَطَفَقْتُ أَغدو لَكِي أَتَجَهَّزَ معَهُ، فأرجعُ ولمَ أَقْضِ شيئاً، وأقولُ في نفسي: أنا قادرٌ على ذلكَ إذا أَرَدْتُ، فلمَ يَزَلْ يَتِمَادِي بي حتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصبحَ رسولُ الله ﷺ غادياً والمُسلِمونَ معَهُ ولمَ أَقْضِ مِن جِهازِي شيئاً، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرجَعْتُ ولمَ أَقْضِ شيئاً، فلمَ يَزَلْ يَتِمَادِي بي حتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أن أُرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُم، فإيا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لم يُقَدِّرْ ذلكَ لي،

فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا (1) عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ. فَقَالَ: لَهُ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبِصًّا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

قال: كَعْبُ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَ بَنِي بَنِي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِبَنِيءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صَدَقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بَضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ وَيَابِعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمِ الْمُغْضَبِ. ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَيْسَ حَدِيثُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عِقْبَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قال: فقال: رسول الله - ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك إذ نبت ذنباً قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قال: أمثل ما قلت، وقيل هما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي؟ قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي. ومهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس - أو قال: تغيروا لنا - حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فليشنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهم يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنيت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ؟ فسكت، فعدت فنأشدته فسكت، فعدت فنأشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عياني، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا ببطي من ببط (1) أهل الشام ممن قدم

بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا.

فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخُمْسِينَ وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أَطَلَّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ: **لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا**، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: **(لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ)** فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ: لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَاذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ إِذْنٌ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا اسْتَاذَنْ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَاذَنْتُهُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ! فَلَيْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمَلْ لَنَا خُمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبْتُ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلَعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. فَإِذَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُشِيرُونَ، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَبْلِي، وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ،

وَاللَّهُ مَا أَمَلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ أَنَا وَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يَهْتَوِنَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ - فَكَانَ كَعَبٍ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قال: كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَهْرُقُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّرُّورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُدٌّ وَلَدَتِكَ أُمَّكَ» فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهَهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّهَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} حَتَّى بَلَغَ: {إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} حَتَّى بَلَغَ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 117 - 119] قَالَ: كَعْبٌ: وَاللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرٌّ مَا قَالَ: لِأَحَدٍ، فَقَالَ: اللَّهُ تَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ} إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 95 - 96] قال: كَعْبُ: كُنَّا خُلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ
 مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى
 قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ. قال: الله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ بِمَا
 خُلِفْنَا لَخُلَفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ
 مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ¹.

وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُخْرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.
 وفي رواية: وَكَانَ لَا يَقْدُمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ
 ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ.

(وعن عبد الله بن كعب بن مالك) - رضي الله تعالى عن عبد الله وعن أبيه - (وكان قائداً
 كعب - رضي الله عنه - من بنيه حين عمي) هذه فضيلة لعبد الله أن يكون قائداً أبيه، من
 باب برّه بأبيه، وهذه فضيلة وتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلك أنت قائداً لأبيك،
 المميز عنده في خدمته، خاصة عند مرضه، فالأب والأم كذلك لا يحتاجان الأبناء عند القوة
 وفي الشباب، ولكن إحرص عليها حقيقة عند الكبر كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ﴿١﴾ لَاحِظْ ﴿١﴾ إِمَّا يَبُلُغَنَّ
 عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا

¹ البخاري: 4418، ومسلم: 2769.

قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾.

لا أريد أن أعلق أكثر في هذا الموضوع، لكن أسأل الله أن تكون هذه الآيات دخلت قلبك،
وأخذت منها فوائد، وإن كنت تعرفها وتقرأها كثيرا في صلاتك، ولكن ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ [الذاريات]

(قال: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ - رضي الله عنه - يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ) قصة حزينه، ولكنها ممتعة، وفي آخرها سعيدة ومفرحة، وفيها فوائد

كثيرة، غزوة تبوك وقصة تخلف كعب بن مالك وصاحبيه.

(قال: كَعْبُ:) هذا من صدقه، إسمع ماذا يقول من صدقه، ويبيّن حزنه في البداية يقول: (لَمْ

أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ

بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ؛ إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى

جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ

حِينَ تَوَاتَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ إِذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا)

هذه البداية طيبة من كعب، يقول يا جماعة قبل أن تحكموا علي وتتضايقوا مني في وسط القصة،

إعرفوا من أنا، إياكموا أن تحكموا علي بسوء الظن، فأنا لم أترك غزوة غزاها النبي ﷺ إلا كنت

معه، فهو من أصحاب العقبة الأولى، وهذه قبل الهجرة بعام في موسم الحج، جاءوه جاءه اثني

عشر رجلا من المدينة فالتقوا به في في العقبة، وتعاهدوا على الإسلام، فأرسل معهم مُصْعَبُ

بْنِ عُمَيْرٍ يَعْلَمُهُمُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ جَاءُوا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَشْهُرٍ، وَكَانُوا بَضْعَةَ

وَسَبْعِينَ رَجُلًا، فِلَا حِظُّ يَقُولُ: (وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ) فِي عَزِّ حَاجَةِ النَّبِيِّ ﷺ

لِلْمُؤَاذِرَةِ كَانَ كَعْبٌ مَوْجُودًا، مِنْ هُنَا يَقُولُ: (وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ) لَكِنْ بَدْرًا كَانَتْ

عَظِيمَةً، لَيْسَ فَقَطْ عِنْدَ النَّاسِ، بَلْ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ مَذْكُورَةٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَدْ غَفَرَ

لأهل بدر، حتى الشيء الذي بدر منهم، أو بدر من بعضهم أخطاء كبيرة أو خطيرة، إن وقعت من أحدهم فالله قد عفا عنهم فيها، هذه بدر، هذه أول غزوة كبيرة، غزوة حقيقية، جعل الناس يحسبون ألف حساب للنبي ﷺ بعدها، لكن لا شك أن أصحاب العقبة الأولى لهم ذكر عظيم، وفضل كبير، ولا يبعد قوله: (وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدرٍ) يُبين لك حتى لا تستعجل عليه، ثم يأتيك من صدقه، ويقول: (وكان من خبري حين تخلّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة، فعزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان) يعني: هنا حتى لا تسيئون الظن به، ذكر الصدق، كان صادقاً، ذكر من حاله أنه لم يكن أقوى ولا أيسر منه في وقت ماض كما كان في تلك الغزوة، يعني: ما عنده عذر كما تعذر من؟ كما تعذر المنافقون في هذه الغزوة، وقد نزلت فيهم آيات، يقول: أنا لم أشارك في بدر كما لم أشارك في تبوك، ولكن بدر لها حالة خاصة، لماذا؟ لأن النبي ﷺ ما خرج للقتال، خرج فقط يريد عير قريش، قافلة أبي سفيان، كانت جاءت من الشام، فكم لها النبي ﷺ، فلم يخرجوا لقتال، تستطيع أن تعدها سرية من السرايا دون الجيش، فخرج بثلاث مئة وبضعة رجل لملاقاتهم، ومعهم فرسان؛ فرس لعلي -رضي الله عنه-، وفرس للمقداد بن الأسود -رضي الله تعالى عنه-، ولكن أبا سفيان لما سمع بقصة النبي ﷺ، ومن ينتظرهم، أرسل إلى قريش، وغير الطريق، فجاءت قريش بجيشها، بعدتها وخيلائها، فهزمهم الله شر هزيمة، فمن هنا لم يعاتب أحد تخلف عن تلك الغزوة، ومن الناس من اتهم عثمان أنه تخلف عن تلك الغزوة، عرفنا لماذا عثمان تخلف؟ لهذا، ولشيء آخر، كان -أظن فيما إذكر- كان يطب ابنة النبي ﷺ كانت مريضة، وبقي عندها، وكانت تحته، ذو النورين -رضي الله تعالى عنه- تزوج رقية

وتزوج أم كلثوم، فماتت الأولى = فزوجه النبي ﷺ الثانية، وقال له بعد أن ماتت الثانية قال: "لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها" سبحان الله! ثم يطعن فيه الخوارج، ويقولون: تخلف عن غزوة بدر، ويلقون عليه بالتهم، قاتل الله الخوارج، وقاتل الله من كان على طريق الخوارج كسيد قطب هذا، عندما يعتبر أن خلافة علي امتداد لخلافة أبي بكر وعمر، وأن خلافة عثمان فجوة بينهما؛ طفرة، نسأل الله العافية، والله أنت الطفرة الفجوة، وأخزاك الله، أخزاك الله، وإن كبرك الكثيرون في هذا الزمان بجهلهم ولحزبتهم، ولكن مثلك لا يكبر ولا تعقد عليه الآمال.

من باب الفائدة أقول لكم: كذلك الذي تخلف عن بدر أيضا لا يمكن أن يقال عنه [أنه] من المنافقين، بخلاف من تخلف في غزوة تبوك -مثلا- قيل: إنه المنافقين، إذا لم يُعذر، ولكن الذين تعذر هم المنافقون -كما هو معلوم-، ولكن لماذا في بدر لا يقال: عن فلان تخلف من المنافقين حتى وإن كانت غزوة، يعني: أيضا هي لم تكن غزوة، فلن يعاتب أحدا، ولكن لو كانت غزوة لن يعاتب النبي ﷺ أحدا بالنفاق، لم يذكر المتخلف بالنفاق لمن ليس له عذر لأن المنافقين خرجوا بعد بدر، ظهر شيء اسمه النفاق بعد بدر، خاف الكفار في المدينة على أنفسهم فأظهروا الإسلام نفاقا، عرفنا متى بدأ المنافقون بالظهور = بعد بدر.

يقول كعب: (وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَىٰ بِغَيْرِهَا) مصلحة سياسية وعسكرية، كان يورى، لا يخبرهم الوجهة إلا في هذه الغزوة، لماذا؟ قال: (فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا) الحر شديد، والسفر بعيد، والعدد كثير، النبي ﷺ في غزوة تبوك التي جرت في السنة التاسعة للهجرة أراد النبي ﷺ أن يلاقي الروم الذين اقتربوا من الجزيرة العربية، مناطق الحجاز قبل تبوك، يريدون أن يُضعفوا شوكة النبي ﷺ هناك، فبادر النبي ﷺ بالذهاب، ولها أسباب أخرى.

قال: (فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ) تأهبوا: يجهزوا أنفسهم (فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ «يُرِيدُ بِذَلِكَ

الديوان») هذه الغزوة كانت تسمى "غزوة العسرة"، ثم سميت تبوك، طبعا "غزوة

العسرة"، عسرة بما سماها الله - سبحانه وتعالى - ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ كان الفقر كثيرا،

المسافة بعيدة، كان الحر شديدا، فكانت "غزوة العسرة" لضيق المال في تجهيز الغزوة، ولكن

أصبح اسمها: غزوة تبوك، وهي نفسها غزوة العسرة؛ لأنهم نزلوا قرب عين يقال لها: "عين

تبوك" أقرب إلى الشام، معروفة.

يقول - رحمه الله ورضي الله عنه -: (قال: كَعْب: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ ذَلِكَ

سِيخْفِي بِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ) يعني: هنالك فرصة له أن يتغيب، لمن يريد أن يتغيب

لكثرة العدد، فلن يعرف النبي ﷺ بتغيبه إلا إذا نزل به وحي، أو إن كان ممن هو مقرب عند

النبي ﷺ = فيفتقده رسول الله ﷺ.

قال: (وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّارُ وَالظَّلَالُ) في حر شديد، طابت

الثار، ويوجد ظلال، قال: (فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ) يريد هذه الثار، ونفسه تتوق إليها، تخيل،

سبحان الله! الدنيا، قال: (فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَغْدُو لَكِي أَتَجَهَّزَ

مَعَهُ) يريد أن يتجهز لكنه كان يتكاسل ويؤجل، الدنيا نالت منه، وهذا الخطأ الذي وقع فيه،

والدرس عن التوبة، إذن: هنالك خطأ منه - رضي الله تعالى عنه - قال: (وَطَفِقْتُ أَغْدُو) طفق

من أفعال الشروع، لها اسم ولها خبر، اسمها الضمير المتصل التاء، والجملة الفعلية أغدو أنا

في محل رفع خبر، قال: (وَطَفِقْتُ أَغْدُو لَكِي أَتَجَهَّزَ مَعَهُ، فَأَرْجِعْ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي

نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ) لاحظ التسوية، هذا الشيطان، والله هذا درس حقيقة

لنا جميعا في التسوية، أنت تكون في لحظة النشاط، ويأتيك الشيطان ويكسلك، ويكون معك

الوقت، تصلي كذلك بعد قليل، تقوم وتدرس بعد قليل، تحفظ اليوم خلاص، إذا ما استطعت

تحفظ الصفحة من القرآن، غدا تحفظ صفحتين، ويسوف ويؤجل ويأمل سبحان الله! وإذا

بالوقت قد فات، وإذا بالهمة قد زالت، وإذا بالشغل قد أتى، وإذا بالحفظ قد ذهب، وإذا بالدماع قد شغل، إلى آخره سبحانه الله!.

قال: (وأقول في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ، فلم يزل يتماذى بي حتى استمرَّ بالناسِ الجُدُّ) أصحاب الجد لا يستهوينهم الشيطان، ولا يغربنهم، ولا يؤملنهم، ثابتون، يعمل الواجب عليه لحظة طلبه منه سبحانه الله! هذه والله توفيق من الله - سبحانه وتعالى-، ولمن عنده الكسل ماذا يفعل؟ يستعيد بالله من الكسل، فقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل ويقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال"، وفي الحديث تبدأ صباحك: "أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، وأعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، وأعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر"¹.

قال: (حتى استمرَّ بالناسِ الجُدُّ، فأصبح رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أفض من جهازي شيئاً، ثم غدوت فرجعت ولم أفض شيئاً، فلم يزل يتماذى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو) إقترَب الغزو، إقترَب الوقت، ولم يعد عنده وقت ليجهز نفسه، والناس أصبحوا يكادون يخرجون إلى سفرهم، وهو لا زال يأمل ويتماذى.

قال: (فهممت أن أرحل فأدر كهم، فيا ليتني فعلت) يا الله من الندم، هذا حقيقة هذا عقاب، الندم عقاب، و'ن كان حقيقة هو من شروط التوبة، لكنه مؤلم أن تندم، لكن هذا الندم يكون عقاباً فقط إذا كان ندماً مجرداً من نية الإقلاع، والترك ندم، مجرد ندم هذا مرض نفسي أن تندم، إحذر من أن تندم على فعل المعصية ولا تتوب منها.

¹ مسلم: 2723.

قال: (فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدَرَ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً) هذا رجل صادق، لا يقبل أن يكون مع المتخلفين، صار يبحث عن أهل العقبة، لعل أحدا تخلف منهم، أهل بدر، أصحاب الغزوات، أصحاب الهجرة، يبحث عن أحد يتأسى به، يخرج حزينا نادما، أنظر إلى الصدق، قال: (يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ) والله يذكرني وأنا كنت الحمد لله، يعني: أعدُّ من المجديين في المدرسة يعني، هذا وقت طويل، فأنا لا أقبل أن أتخلف عن واجب، لا أقبل أبدا، ولعلها حدثت معي في حياتي مرة أو مرتين؛ أنني جئت إلى المدرسة ولم أجهز واجبي، فأحزن جدا إذا طلب المعلم أداء الواجب؛ [إذا] طالبنا به فأخرج أو يشار إلي أنني من المتخلفين في أداء الواجب فأنظر، وسبحان الله! أنظر حولي من المجديين تخلف مثلي فأرتاح قليلا، أنا نادم وحزين ومقهور، فإذا نظرت فإذا بالذين تخلفوا عن أداء الواجب من؟ الذين في آخر الفصل الذين لا يحضرون، الكسالى، فأصبح من عداد الكسالى فيزيد قهري، يعني: كان لي أسوة يخف حزني، يواسيني أن أجد أحدا مجدا أعلى مني، أو مثلي أتأسى به، أقول الحمد لله فلان معي، لكن إذا لم أجد مصيبة هذا سبحان الله! يذكرني بهذا، طبعا ليس باب التذكير، ولكن من باب أريد أن تشعروا بهذا الأمر، سبحان الله! بشعور هذا الرجل الصحابي الجليل الصادق في جهاده مع النبي ﷺ، وفي إسلامه.

قال: (وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ) هو قال: يعني: العدد كثير إلا أن ينزل الوحي فيعرف النبي أن فلانا تخلف، إلا أن يكون ممن هو معروف عند النبي ﷺ مثل هذا: (كَعَبٌ) ومع ذلك كعب لم يذكره النبي ﷺ حتى بلغ تبوك، لكنه ذكره لأنه في عداد المقربين، من أوائل الصف، حتى بلغ تبوك فقال: وهو جالس أي: النبي ﷺ (فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ؟») أين الرجل؟ النبي يسأل عن من؟ عمن يحبه، وهذه تفيدهنا فائدة كما يقال: "العتب على قدر المحبة".

(فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ) يعني: ملتحف ببردیه، كسول سبحانه الله! الاستعجال على الناس، ولكن قالها الرجل، قال: (فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظْرُ فِي عِظْفِيهِ. فَقَالَ: لَهُ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ - رضي الله عنه-: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ) أي: على هذه الجلسة، وهذا السكوت (رَأَى رَجُلًا مُبِيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ) في قصة له.

(قال: كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَ بَنِي) جاء العتاب والعقاب، ونظرة الأحاب، نظرة المعاتبة، نظرة النبي ﷺ، من يستطيع أن ينظر إليه النبي ﷺ معاتبا، ولا يجلس في بيته كمدا وقهرا، قال: (فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ) بدأت أبحث عن عذر، هذا موجود، حال البشر = يبحث لعله يعتذر بشيء (وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرَجَ مِنْ سَخَطِهِ عَدَا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي) يا جماعة دلوني ماذا أقول للنبي ﷺ، بماذا أعتذر؟ عندك شيء؟ عندك شيء يا فلانة يا أم فلان؟ (فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صَدَقَهُ) لأنه يعرف أن النبي الصادق المصدوق مرسل من رب العالمين، إن كذب كعب يأتيه الوحي، فلا يكذب أبدا، زال الباطل عنه، فأجمع الصدق على ذلك وقرره.

قال: (وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ) سنة أن تصلي [عند القدوم] من السفر فتصلي ركعتين قال: (فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ) أي: جلس في المسجد، صلى وجلس يستقبل الوفود من الناس (جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيُخْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) لست بحاجة لكم، تعذرتم، أمركم إلى الله من الذي جاء؟ المنافقون قال: (حَتَّى جِئْتُ) وهو ليس منهم، قال: (فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّ بِسَمِّ الْمُغْضَبِ) تعرفون بسمة

الغاضب، هي بسمة محب وغازب (ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ) أدب مع النبي ﷺ (فَقَالَ: لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟») أين كنت؟ ما خلفك؟ عندك عذر مثلهم؟ (أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟) أنت اشتريت ما تأتي به معنا، والكثير من الناس ما كان عندهم فكانوا معذورين، وأنت عندك الظهر لتركب عليه، وتأتي معنا.

قال: (قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدًّا) صاحب حجة قوية (وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ) يعني: لو حدثتك بكذب فترضى، الله لا يرضى، وتأتيك آية تكذبني، حتى وإن لم تأتك فالله يسخط علي، أما إن صدقتك غضبت مني، قال: (وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ) أي: في نفسك (إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -) أرجو أن أكون مع الصادقين، حتى وإن غضبت مني يا رسول الله، ولا أريد أن أغضبك، لكن أريد أن أصدقك، لا أريد أن أكذب عليك يا رسول الله، قال: (وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ) هذا ما عندي يا رسول الله (قال: فقال: رسولُ الله - ﷺ -: «أما هذا فقد صدق») النبي يعلم الصادق من الكاذب، بغلبة الظن نعم، ولكن أحوال المنافقين كان يعلمها النبي ﷺ، وقد أخبره الله تعالى عنهم، وكان من يعرف حالهم؟ حذيفة بن اليمان، أمين السر، كاتم سر النبي ﷺ، قال النبي لما سمع مقالته: («أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»). وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ إِذْ نَبَتْ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَدَزْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ) لا شك أن استغفار النبي ﷺ ينعف، ولكن ينعف من؟ المؤمنين، وهو من أهلهم، ولكن هل هذا يقنع الرجل؟ يقنع مثل كعب؟ مهما فعلتم وأخرتموني عن فعل الخير وندتموني وعاتبتموني (قال: فوالله ما زالوا يُؤْتِبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْذَبَ نَفْسِي) يا الله، الصاحب فوق

الرأس، عندما يكثر من الزن والكلام والتأنيب يجعلك تشك في نفسك، تشك في الخير الذي تفعله، هل هو خير أو شر؟ والتثبيت من الله.

قال: (ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ:) بعد أن ثبته الله قال: (هَلْ لَقِيَّ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟) قالوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَ: أَمِثْلَ مَا قُلْتِ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟) يعني: هل هما من الصادقين؟ هل هم مقربين؟ أريد أن أعرف، فإن وجدتهما مثلي في الصدق، أو في الايمان، أو في القرب من النبي ﷺ، إثبت - إن شاء الله - أو يزيد ثباته (قالوا: مُرَارَةٌ بِنِ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيِّ، وَهَلَالُ ابْنِ أُمَيَّةِ الْوَأَقِفِيِّ؟) قال: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهَا أُسُوءَةً، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوا هُمَا لِي) خلاص انتهى الأمر، طالما أن هنالك مثلها معي أثبت.

قال: (وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ) أمر بهجرهم، لا أحد يكلمهم، هل يجوز الهجر؟ نعم، لماذا؟ هذا أحد أنواع الهجر؛ الهجر هجران:

- هجر التأديبي فيكون في لحظة القوة فتؤدب غيرك، هجراله حتى يرتدع، مثل ما فعل النبي ﷺ مع كعب ومُرارة وهلال.

- وهنالك النوع الآخر الهجر الوقائي: هذا في كل زمان، لا يتوقف، اتقي نفسك، فتعجر أهل البدع، وقد أمع أهل العلم على هجران أهل البدع، وقاية في زمان الضعف، وتأديبا وزجرا في زمان القوة، فنحن في زمان السنة هي المهجورة، والسني هو المحارب المهجور، أيها السني اثبت، أهجر أهل البدع، لماذا؟ وقاية لنفسك، فالقلوب ضعيفة والشبه خطافة.

قال: (وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ - أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا - حَتَّى تَنْكَرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضِ) وقد جاء فيهم آيات قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة] سبحان الله! الأمر صعب جدا قال: (فَمَا هِيَ

بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً) تخيل خمسون ليلة قد هجروا قال: (فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ. وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ) كان شابا في ذلك الوقت، وعنده قوة وجلد، بخلاف صاحبيه، كان عندهما من الضعف ما كان عندهما، فبقيا في بيتهما يبكيان على حالهما.

قال: (فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ) وهذه صعبة؛ صعبة أن تصلي معهم، وقد هجروك، ينجل من نفسه.

قال: (وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا؟) هذه فيها مسألة فقهية: ما عندي الكلام فيها الآن، قد سلم عليه ورد السلام، والنبي ﷺ هل رد أم لا؟ لأن كعبا يسأل، أنظر، هل حرك [شفتيه] أم لا؟ فهو لا يعرف إذا لم يسمعه، هذا ثابت أنه لم يسمعه، لكن هل رد النبي ﷺ أم لم يرد؟ فكان ينظر إلى شفتيه، المسألة فقهية متى لا يجوز رد السلام، طبعا عندما كان النبي ﷺ يقضي حاجته كان لا يرد السلام، إلا بعد أن يفرغ، وهذا معروف، ولكن في حالات أخرى مثل هذه الحالة، سؤال وليس عندي الآن جواب.

قال: (ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا التَّفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي) الصورة واضحة لديكم عيشوها.

قال: (حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ) الأمر اشتد عليه، قال: (مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ) حائط يعني: حديقة (وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ) ابن عمه، وأحب الناس إليه، والله ما رد عليه السلام، مهجور، هذا أمر من النبي ﷺ يا أصحاب الدعوات، يا أصحاب التميع، يا أصحاب منهج التميع، أنظر إلى حال الناس في زمان النبي ﷺ واستحي على شيبتك، واستحي على نفسك، والله لقد خالفت، والله يا ليتك تميع معنا، وتتهم أهل السنة يعني: نسأل الله أن نكون من أهل السنة والله، اللهم اجعلني منهم، اللهم اغفر لي تقصيري في نصره السنة، يعني: سبحان الله!

تتهمون أهل السنة بالغلو، تقولون عنهم: أهل الغلو، والمداخلة، والجامية، وغير ذلك. ثم بعد تميمون مع كل الناس، يا ليتكم تأتوننا بميزان واحد، ميعونا معهم، أو اجعلونا من صنفهم من حيث المعاملة، طبعاً لا نريد معاملتكم بهذا، ولكن أنتم إن كنتم تدعون التقوى حقيقة، وهي عندهم، وأنكم أصحاب الورع، وتريدون التأليف، وغير ذلك، ألقوا كما تؤلفوا معهم، ألقوا معنا، لكن سبحان الله! سبحان الله! تجدهم أشد الناس علينا، لذلك نحن أشد الناس عليكم، وعلى غيركم، فنحن ميزاننا واحد: قال الله وقال رسوله ﷺ، لا نحابي في دين الله أحداً، هذا منهج السلف، عليه تربينا، ونسأل الله أن نموت على ذلك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، الله! فوالله إن الفتن تزداد وترداد وتزداد، ولكن الثبات من الله - سبحانه وتعالى - حتى في زمان الرخاء.

قال: (فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) تخيل يعني: خلاص أنا هجرتك لا تكلمني.

قال: (فَقَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ) أهل الأنباط الشاميين، أو النبطيين من أعراب أهل الشام، قد يكون سبحان الله! ومنه يقال: الشعر النبطي، يعني: يأتون إلى المدينة فيبيعون طعامهم، ويشترون مكانه شيئاً آخر.

(يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي) هذا جاء بائعاً ورسولاً (جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا) أقرأ وأكتب (فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ) أي: النبي ﷺ (وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ (1)، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ) يعني: تعال عندنا، اتركك من هذا، اتركك من الذي جفاك، هذه دار هوان، تعال إلى دار العز، أنظر إلى الدنيا قال: (فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ) تيممت أي: قصدت، والتيمم أصله القصد، وهو تقصد الصعيد

الطيب (فَتِيَمَّمْتُ بِهَا التُّورَ فَسَجَرْتُهَا) يعني: احرقتها اشعلت فيها النار وضعتها في الحطب قال: (حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ) تباطأ الوحي في شأننا، ينتظر آية، قال: (إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) ماذا يريد منه؟ ينتظر الفرج كَعَبٍ ينتظر الفرج فجاءه رسول رسول الله ﷺ ماذا يريد؟ قال: (فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ) الله أكبر، فوق البلاء بلاء، وفوق الحزن حزن وألم، بعد هذا المهجران بعد الأربعين يأمره أن يعتزل زوجته قال: (فَقُلْتُ: أَطَلَّقَهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟) سبحان الله! (أَطَلَّقَهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟) هو خلاص ائتمر، هو سيعتزلها، ولكن الاعتزال طلاق أم ماذا؟ هذا من من شدة اتباعه لأمر النبي ﷺ - فرضي الله عنه وأرضاه-، قال: (لَا، بَلِ اعْتَزَلْتَهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا) خلاص ما تطلق، بس اعتزلها، ما تقرب منها، قال: (وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكَ) وهنا كلمة تعود إلى النية، هذه من المباحث الفقهية في الطلاق، فإذا أراد بها طلاقاً طَلَّقَتْ كما فعل النبي ﷺ مع امرأة تزوجها، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: "الحقي بأهلك" قال: "قد عدتِ بعظيم، الحقي بأهلك"¹ يريد طلاقها، فطلقت وهنا قال: (الحقي بأهلك) لا يريد طلاقها، إنما الاعتزال = فلا تطلق ، مسألة فقهية، يعود الكلام إلى النية.

قال: (الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ» فقالت: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي) يعني: أنظر ماذا حدث

¹ البخاري: 5254، ومسلم: 2007.

مع هلال عندما جاءته زوجته إلى النبي ﷺ، وأخذت إذنا منه، بأن تبقى عنده، فقال له بعض أهله - بعض أهل كعب - فقال لي بعض أهلي: (لَو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ إِذْنٌ لِمَرْأَةِ هَالِكِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذَنْ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ!) أنا ما عندي عذر مثل هلال، هذا مسكين عنده عذر، رجل كبير، وأنا الشاب، قال: (فَلَيْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ) فوق الأربعين فتلك خمسون، قال: (فَكَمَّلْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ مُهِىَ عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا) هنا المسألة نبحت عند العلماء - إن يسر الله - قوله "صلاة الفجر على ظهر بيت" يعني: ليس في المسجد، أي: ليس في الجماعة، فهذا الهجران ما ضابطه؟ وما حدُّه؟ وهو معذور بترك الجماعة إن كانت واجبة إن أمر الوالي بهجرانه؟ تحتاج إلى بحث.

قال: (فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا) أي: في الآية (قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَزْتُ سَاجِدًا) وهو جالس حزين يفكر بحاله، سمع صارخا، صارخا: رجل ينادي بصوت عال، "أوفى": بمعنى وقف، أو وصل إلى "سَلْعٍ" أي: جبل عال حتى يكون الصوت واصلا، لماذا فعل ذلك؟ سنعرف الآن، قال: (يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَزْتُ سَاجِدًا) سجود الشكر، فورا (وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ) إذن: هذا سجود الشكر لا داعي لأن أصلي ركعتين من باب سجود الشكر، سجود الشكر لا يحتاج إلى أن تسجد، ولا يحتاج إلى شيء آخر قال: (فَإِذَنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَ) جاء الفرج، وقيل الله توبته بماذا؟ بصدقه وندمه وحزنه، كان صادقا، نية صادقة، وتوبة نصوحة، قبلها الله، فنزلت فيهم آيات، قال: (فَذَهَبَ النَّاسُ

يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَيْلِي، وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ) لماذا؟ المبشر أو لا يأخذ جائزة، لذلك أراد أن يسبق صاحب الفرس، فصعد فوراً الجبل، وصرخ: "يا كعب بن مالك أبشر" خلاص هو الذي أوصل الخبر المفرح، قال: (سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثُوبِي فَكَسَوْتُهَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ) هذه من السنة البشارة، ومن السنة إعطاء الجائزة على البشارة، هذه كانت عندهم موجودة (وَاسْتَعَرْتُ ثُوبَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا، وَأَنْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ رَسُولَ اللَّهِ) أي: أتقصد ... على كل حال: أنه كان يقصد الذهاب، يبحث عنه، قال: (وَإِنْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَيِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ) كل الناس يهينونه، ما أحسن هذا الخبر، وما أحسن حظه، فالله قد أنزل التوبة فيه، فكل الناس يهينونه على الطرقات من هنا وهنا، حتى دخل المسجد، قال: (حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَهْرُولٌ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ) القائل عبدالله، لاحظ، لماذا أحبه كعب؟ وهذا من باب التقرب إلى أخيك المؤمن، تودد إليه، وإياك أن تهجره، إسمع هذه الجملة: بعض الناس يبرزون أمام شيوخهم فيقطعون في أصحابهم، أو يؤذونهم في الأسئلة يسألون عنهم سؤالاً، أو بعبارة يسألون شيخاً سؤالاً يقصدون فلانا، الشيخ لا يدري ما يقصد فلان، فيجيب ويرى فلانا أنه بارز في السؤال، ولكنه الشخص المقصود، عرف أنه المقصود، فيقع في نفسه على السائل، لماذا؟ نفعل هذا مع بعضنا؟ لماذا نفعل هذا مع بعضنا؟ تذكر قصة كعب بن مالك، لما قام إليه طلحة يهينه، يهرول إليه بنفسه، والبقية جالس لم ينسها كعب، عرف أن طلحة قام، والبقية جالسون، قال: فكان كعب لا ينسها لطلحة، قال كعب: (فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ

وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ) سبحان الله! يفرح النبي بتوبة أصدقائه، ما أرحم النبي ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران]

أنت المهم أنك تريد أن تبدع غيرك! أكيد الحمد لله فلان طلع مبتدع عندك خلاص! يعطيك العافية بارك الله فيك! طلع مبتدع هنئه على بدعته! النبي ﷺ عندما عاتبه كان غاضبا، وعندما ثبتت توبته (يَبْرُقُ وَجْهَهُ مِنَ السُّرُورِ) أليس لنا في النبي ﷺ أسوة؟ يا أخي إذا تكلمت في أخيك المسلم، أو إذا أردت أن تقع في فلان ببدعة أو كذا، عليك أن تتقي الله، وأن يكون قولك فيه لله، بنية خالصة، حرصا عليه وعلى المسلمين، ونصحا لدين الله - سبحانه وتعالى -

فـ"الدين النصيحة"¹، ولكن عليك أن تفرح أكثر بتوبته، وأن ترجو الله له أن يعود إلى رحاب السنة، وليس كما يفعل كثير، يكون فرحا بخروج أخيه من السنة، كأنه أحرز جائزة، فلان مبتدع، فلان يا شيخ قال هذه الكلمة، ما شاء الله بشرك الله بالجنة بما بشرتنا! بخروج أخيك من السنة؟! طبعا لا يعني ذلك أن تسكت عن الحق وكذا، ولكن أقول: بالنية انتبه إلى نيتك، لماذا تقول أنت هذا الكلام؟ لماذا تبحث عن هذه الأشياء؟ إحرص على النية، وتكلم بالمفيد، واجعل هذا الكلام مفيدا ولا تستعجل على الآخرين، وقله بحزن على أخيك، ونصرة للدين ونصحا للأمة، وإن عاد فالحمد لله، فهذا أحسن، وهذا الخير الذي تريده، النبي ﷺ برك وجهه من السرور بتوبتهم، يقول النبي: («أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُدٌّ وَلَدَتِكَ أُمَّكَ») سبحان الله! لم هذا؟ قد ذكره الله في كتابه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ ثم ذكر توبتهم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة].

¹ مسلم: 55.

سبحان الله!

قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ) هذا فرح يريد أن يجعل صدقة تبقى بهذه التوبة، بقبول الله لتوبته.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». فقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ) هنا يريد أن يجعل صدقة، والنبي قبل ذلك منه، لذا قال: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ) يعني: لا تتخلع بالصدقة من كل مالك، إجعل لك شيء، لا تأخذ كل شيء للصدقة، هذا دليل على أن الصدقة طيبة عند هذه الأمور، عند التوبة، إذا رأيت منك توبة صدوقة نصوحة، وقد تشعر أن الله قبلها منك، على كل حال: لا بأس أن تتخلع بصدقة، وصدقة في الغيب تطفئ غضب الرب.

إسمع هذا الكلام، إسمع ما أجمل هذا الكلام (وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا) إنما: كافة ومكفوفة (إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَهُ مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ) خلاص، عرف قيمة الصدق، فوعد وعاهد أن يبقى صادقًا، وبقي على ذلك -رضي الله تعالى عنه-، وقد ابتلي بذلك كثيرا، وكان ثابتا (قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ { حَتَّى بَلَغَ: {إِنَّهُمْ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ { حَتَّى بَلَغَ: {اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 117 - 119])

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظُنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة]

قَالَ كَعْبُ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ
صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبْتُهُ، فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ
لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا
انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }
[التوبة: 95 - 96] قَالَ كَعْبُ: كُنَّا خُلْفَنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُوْلِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ) أَي: آخِر (وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا
حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ
مِمَّا خُلِفْنَا تَخْلِفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا) أَي وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا
خُلِفُوا عَنِ أُوْلِكَ الَّذِينَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ عَذْرَهُمْ وَلَيْسَ تَوْبَتُهُمْ هُوَ لِأَنَّ خُلِفُوا أَرَجُوا هَذَا
مَعْنَى قَوْلِ كَعْبٍ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا هَذَا مَعْنَاهَا وَلَيْسَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِفُوا عَنِ الْغَزْوَةِ.
قَالَ: (وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُخْرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.
وَفِي رَوَايَةٍ: وَكَانَ لَا يَقْدُمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الصُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ
ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ).

أتوقف عند هذا القدر، بقيت ثلاثة أحاديث أظن من أحاديث الباب، أحاديث التوبة
نكملها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.